واغبرّت، وكثرت ذبابة الضراب وأهرّت، وتهارشت نمور الشرود
واسبطرّت، وتغانشت اسود الجنود وازبأرّت، واكتست
بريش النبال الجلود فاقشعرّت، وهوت جباه الجباه ورؤوس
الرؤوس محراب الحرب للسجود فخرّت، وثار الغبار وقام القتام،
وخاض بحار الدماء كل خاص وعام، وصارت نجوم السهام في
ظلام القتام لشياطين الاساطين رجوماً رواشق، ولوامع السيوف
في سحاب التراب على الملوك والسلاطين بروقاً وصواعق، ولا
زالت سلاهب المنايا تجوب وتجول، وضراغم السرايا تصول
وتصول، ونقع السنابك الى الجو راقيا، ونجيع السوافك على الارض
جاريا، حتى غدت الارض ستا والسموات كالبحار ثمانيا،
واستمر هذا اللدد والخصام، نحواً من ثلاثة ايام، ثم انجلى
الغبار، عن انهزام جيش توقتاميش وولى الادبار، وفرّت
عساكره واندعرت، وانتشرت جنود تيمور في ممالك الدشت
واستعرت، واستولى على قبائلها، واتى على ضبط اواخرها
واوائلها، واحتوى على الناطق فحازه، وعلى الصامت فحازه،
وجمع الغنائم، وفرق المغانم، واباح النهب والاسر واذاع
القهر والقسر، واطفأ قبائلهم، واكفأ مقاولهم، وغيّر
الاوضاع، وحمل ما استطاع من الاموال والاسرى والمتاع،
ووصلت طراشته الى ازاق، وهدم سرايه وسراجوق وحاجي
ترخان وتلك الآفاق، وعظمت منزلة ايدكو عنده، ثم انفتل
قاصداً سمرقنده، وصحب ايدكو معه، ورام منه ان يتبعه،

ذكر ايدكو وما صنعه
وكيف خلب تيمور وخدعه

فارسل ايدكو قاصداً الى اقاربه وجيرانه، وقبائل المبيّة كلهم
من اصحابه واخدانه، من غير ان يكون لتيمور بذلك شعور،

ان

ان يرحلوا عن مكانهم، ويتشمروا عن اوطانهم، وان ينحوا جهة
غيبتها، واماكن يتيهانها، صعبة المسالك كثيرة المهالك، وان امكنهم
ان لا يقيموا في منزل واحد يومين فليفعلوا ذلك، فانه ان ظفر
بهم تيمور بدد شملهم، واباد هم كلهم، فامتثلوا اشارة ايدكو،
وارتحلوا ولم يلووا، ولما علم ايدكو أن جماعته قوّزوا، وحيثه
لتيمور اعجزوا، قال له يا مولانا الامير، ان لي من الاقارب والحشم
الجم الغفير، وانهم عضدي وجناحي، وبصلاح معايشهم
صلاحي، ولا آمن عليهم ان يلقوا بعدي، من توقتاميش الجور
والتعدي، بل لا اشك انه يفنيهم، ويبيدهم عن بكرة ابيهم،
وحيث يمتنع عليه بجاه جنابك جانبي، ينتقم لسطوته من
حشمي واقاربي، لان سدا هذه الملاحم انا الحمته، وفي مضايق
البلاء وما زق الانكسار انا اقحمته، وعلى كل حال فلا يطيب على قلبي
ان يساكنوه، وكيف يهنأ لي العيش واصدقائي مجاوروه، فان
اقتضت الاراء المنيرة، ارسال قاصد الى تلك الاماكن
والقبائل الكثيرة، صحبة مرسوم شريف، وامر عال منيف،
باستمالة خواطرهم، وتطييب قلوب قبائلهم وعشائرهم،
والامر بترحالهم، وترفيه حالهم، فنكون جميعاً تحت الظل
الشريف، في روض عيش ورتق وريف، ونتخلص من هذا
الدشت، الخلق الدشت، ونقتضي ما مضى من الاعمار،
ونقضي الباقي في جنات تجري من تحتها الانهار، فالرأي الشريف
اعلى، واتباع ما يبديه للمماليك اولى، فقال له تيمور انت
عذيقها المرجّب وجذيلها المحكك، ومع وجودك انت من
يسلك هذا المسلك، فقال كل الانام عبيدك، وتابع
مرادك ومريدك، ومن تراه لشيء اهلا، كان كل حزن
عليه سهلا، فقال بل انت اولى بهذا الامر فكن ضمينه، اذ لا يفقه

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)